

الشك المنهجي عند فرنسيس بيكون

اسماعيل سالم فرحات

1- كلية الآداب – جامعة مصراتة

ملخص البحث

يمكننا ان نلخص نتائج هذا البحث في مجموعة من النقاط :

1- ان هناك افات تصيب العقل و تؤدي الى الشك وعدم المعرفة و الفوضى وتقييد العقل .

2- من هذه الافات ما هو راجع للعقل ذاته و هي ماجبل عليه الانسان من نقص في قدرة العقل و حدود امكانيته على المعرفة ، وهذا مايعتبره فرنسيس بيكون قصور في العقل مما جعله يشك في قدرة العقل عن ادراك المعرفة بدون مساعدة الحواس والطبيعة ، وهذه الافات تشمل الجنس البشري بصفة عامة .

3- ومن الشكوك التي تخص الشخص ذاته و يختلف فيها البشر تبعا لبيئته و تربيته وفطرته ، فمنها يفطر عليه ومنها مايكتسبه من البيئة التي يعيش فيها والتي تشمل الخرافات التي يكتسبها من المجتمع ، والتي على الانسان طرحها جانباً والتخلص منها .

4- ويرى فرنسيس بيكون ان من المعارف التي علينا ان نشك في صدقها هي ماتحملها لنا اللغة من البس و مغالطات ، والتي علينا ان نتخلص منها بالبحث عن لغة علمية واضحة تخلصنا من المعلومات الغامضة والمعاني المتداخلة والمتشابهة والتي تشتت العقل الذي يعانى اصلا من مشاكله الخاصة .

5- ومن الامور التي تدعونا الى الشك –حسب فرنسيس بيكون- هي مايتعلق بالشخصيات التاريخية ومدى اعجابنا بها و عدم شكنا في صدقها ، بل وتقليدنا لها في كثير من الامور ، والدفاع عنها بدون مبرر مقنع ولا سند علمي نستند اليه ، وانما سندنا الوحيد هو شهرتها في عصر من العصور ، ويرى فرنسيس بيكون ان علينا الشك فيها واغضاع افكارها الى البحث العلمي والتأكد من صدقها ، وعدم التسليم بها كما وصلتنا .

6_ اما هدف فرنسيس بيكون من الشك فكان المقصود منها البحث عن منهج جديد للبحث بذل المناهج القديمة التي يعتبرها عقيمة و غير صالحة للانسان لانه الانسان يصبح فيه مثل العنكبوت الذي ينسج خيوطه من داخله وليس مثل النحلة التي تعتمد على الطبيعة في جمع الرحيق الذي تحوله الى عسل .

7_ وأخيرا يجد فرنسيس بيكون طريقه الى يقينه المنشود كما يراه بعد رحلة من الشك في كل ما هو مورث ، واختار منهجه الذي يعتمد على الطبيعة ، ومصدره التجريبية و الحواس ، وطرح كل ما هو موجود من الاوهام او الاصنام كما يطلق عليه .

8_ ومع هذه الرحلة من الشك المنهجي التي مر بها فرنسيس بيكون فإنه لما يأتي بجديد لان نفس المراحل ونفس المخاوف و الاهداف و الحلول قد مر بها مفكري الاسلام قبله بقرون عدة ، وما كان بيكون الا مقلدا لهم .

المقدمة :

يعتبر تاريخ الشك ملازم لتاريخ الانسان و مرافق للمعرفة الانسانية ، رغم ان هذا النزوع الى الشك يعتبر الجانب السلبي من المعرفة إلا أنه ضروريا لكل معرفة يقينية، فمن الشك من شك في قدرة العقل على المعرفة ومنهم من شك في قدرة الحواس ، وهذا مايسى بالشك المنهجي ، ومن الفلاسفة من انكار شهادة العقل والحواس معا و جعل الشك هدفه ، وهذا ما يطلق عليه الشك المذهبي ، أي أنهم جعلوا من الشك مذهباً في ذاته.

ولقد مرت الفلسفة الغربية بمرحلة من الفوضى اذبان عصر النهضة بسبب تضارب الافكار والميراث الفكري مما أجبر الفلاسفة على المرور بنفق طويل من الشك حتى يتمكنوا من الولوج الى الحقيقة والمعرفة الصادقة التي يبحثون عنها كما حدث مع "رينيه ديكارت" ابو الفلسفة الحديثة .

وستناول في هذا البحث معرفة الشك الذي مر به "فرنسيس بيكون" وماهي رحلته مع الشك وماهي منابع التي نهل منها منهج الشك؟، وكيف استطاع أن يجعل من شكه قاعدة لمعرفة ويقينه؟ ، وماهي الاداة التي استخدمها لذلك ؟

حينما نتحدث عن المنهج عند فرنسيس بيكون ينبغي أن نتناول الشك المنهجي عنده ، وكيف انتقل من الشك الى اليقين، وكيف تأثر فرنسيس بيكون بالمفكرين العرب المسلمين ؟ ، والى أي حد كان فرنسيس بيكون يمهد لمنهجه الجديد بثورة من الشك علي الافكار التي كانت سائدة في اوربا في عصره

؟، وكيف نجح في الوصول إلى الغاية من منهجه الاستقرائي في مدينته المثالية والتي سماها (أطلنطس الجديدة) من أجل تحقيق التقدم العلمي المنشود؟. ولقد استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي للفهم الشك البيكوني ودوافعه، والمنهج المقارن للكشف عن أوجه التشابه بين شكه وبين الشك الذي مر به مفكري الإسلام أذبان ازدهار الحضارة الإسلامية. وقد تدرجنا في بحثنا هذا من بداية الشك عند فرنسيس بيكون ثم هدفه من، وأخيراً كشفنا عن طريقته للتخلص من الشك والوصول إلى اليقين كما يراه فرنسيس بيكون.

أولاً: بداية الشك عند فرنسيس بيكون :

يرى بيكون أن الشك هو الآفة التي تحول بين العقل والاستسلام للحقيقة أو التسليم بصحة المعتقد السائد وهي مثل غيره الرجل على زوجته أو مثل الخفافيش التي تسير حذرة دوماً وذلك على العكس من الطيور التي تحلق في السماء معتمدة على حواسها دون عقولها. (1)

فيرى بيكون أن الحقيقة هي ليست تلك التي يحدثنا عنها الفلاسفة بل هي وليدة الخبرة والتجربة التي يمارسها الرجال دون أي سلطة مسبقة، والكذب لا يمكن كشف بطلانه إلا بالاختبار، فيجب اختبار معارفنا بالشك فيها قبل الوثوق بها واعتبارها حقائق ومن ثم لا ينبغي على المشاعر أو الذات أو العادات أو الثقافة السائدة أن تخدعنا عند اختبارنا للمعارف المختلفة وعليه يجب تخلصنا من كل ما يحيط بنا من أوهام وأكاذيب مستعنيين في ذلك بالعلم وذلك لأن المسيح -حسب بيكون- غادر الأرض على صليبه من جرّاء الكذب وعند عودته ثانية سوف يلاقيه أيضاً. (2)

يقول فؤاد زكريا عن السمات العامة لفلسفة فرنسيس بيكون: ((إذا تأمل المرء فلسفة بيكون من خلال كتاب (الأورجانون الجديد) بدا له أن أهم ما تتميز به هذه الفلسفة هو تجديدها للمنطق، ونظريتها الجديدة في الاستقراء. أما إذا تأمل هذه الفلسفة من خلال الخطة العامة لكتاب (الإحياء العظيم) الذي لا يكون الأورجانون إلا جزءاً واحداً منه، لبدا له محاولة ذات طابع أعم بكثير، لكشف القيم الجديدة التي تتضمنها الحضارة العلمية الحديثة في أول عهودها... قد أدرك بيكون بوضوح تام هذا العيب الأساسي في طريقة تفكير فلاسفة اليونان والعصور الوسطى، وهو الاعتقاد بأن العقل النظري وحده كفيل بالوصول إلى العلم، وحمل على الفكرة القائلة: بأن مما يحط من قدر الذهن البشري أن يظل عاكفاً مدة طويلة، ودون انقطاع، على الاتصال بالتجارب والجزئيات التي هي موضوعات الحس وأن يقتصر على المادة وحدها)) (3)

ويضيف بيكون واصفاً الفلسفة المدرسية المفعمة بالتعاليم اللاهوتية بأنها هذا النوع المنحط من المعرفة قد ساد أساساً بين المدرسيين الذين كان لديهم نكاه قوي حاد وأوقات فراغ طويلة وقراءات قليلة التنوع، وهذا ما يرفضه بيكون لأن المعرفة عنده هي المعرفة العلمية المستخلصة من الاستقراء الدقيق والتجارب المعملية، وأن العلم هو الذي يفضي إلى مقتنعات وأعمال من أجل حل مشكلات الإنسان على الأرض وتوفر له كل سبل السعادة.

((فالعلم النظري العقيم ليس علماً وهو الذي يذهب ويختفي دون أن تتغير معه حياة الإنسان وإنما العلم هو ذلك الذي يمكن أن يثمر أعمالاً... وإذا لم تعد الأرض كلها إلا معاهد وكلليات ومدارس لأهل العلم، فمحال أن يتحقق الآن أو في المستقبل أي تقدم جدير بالبشر في الفلسفة أو العلوم دون تاريخ طبيعي وتجريبي كذلك الذي ندعو إليه)) (4)

(1) THE ESSAYS OR COUNSELS, CIVIL AND MORAL, OF FRANCIS LD. VERULAM VISCOUNT ST. ALBANS p38

(2) Ibid; p4-5.

(3) فؤاد زكريا: الأورجانون الجديد لفرنسيس بيكون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص21، ص26.

(4) المرجع نفسه: ص 32، ص33.

فيرفض بيكون القول بأن تأمل الحقيقة أكرم وأرفع من أية منفعة تعود بها النتائج العلمية أو أي توسيع لنطاق هذه النتائج على حين أن تشبثنا طوال هذا الوقت بالتجربة والمادة وبالأحوال المتغير للأمر الجزئية يقيد الذهن بالأرض أو على الأصح يلقي به في هوة الفوضى والاضطراب وينأى به عن حالة أكثر قداسة هي حالة الحكمة المجردة بما فيها من هدوء وسكينة ونحن نقبل هذه الطريقة في التفكير عن طيب خاطر ونحرص أشد الحرص على تحقيق الغاية التي يدعون إليها⁽¹⁾

ويضيف وليام راوولي أن بيكون بمنهجه الاستقرائي قد استطاع تفسير قوانين الطبيعة والكشف عن أسرارها فتحول السحر إلى طب والتنجم إلى فلك والبحث الفلسفي عن العلل البعيدة إلى الكشف عن العلل المباشرة لوجود الأشياء في عالم الطبيعة والتصورات الميتافيزيقية عن الحركة إلى إدراك الحركات الآلية والميكانيكية الطبيعية⁽²⁾

وبالإضافة إلى ذلك ، بدأ فرنسيس بيكون شكه فيما يتناول من مادة علمية كانت تدرس في أوروبا علي أيامه ، أقصد التراث اليوناني القديم وبخاصة كتب "أرسطو" ومنطقه ، فوجد في نفسه القدرة والجرأة علي أن يتحمل مسؤولية تغيير ذلك الوضع ، والثورة عليه، والشك فيه وهدم أركانه في عقول الناس، وخاصة ذوي المال والجاه ، حتى يساعده في تحقيق هدفه المنشود الذي يمهده له . ولهذا نجده يقول ((وكانت بي رغبة للبحث ومقدرة علي إرجاء الرأي بالصبر والتأمل والتفكير والقبول بحرص، والاستعداد لتصحيح الانطباعات المزيفة ، وترتيب أفكاره في عناء وشك وريبة. لم يكن بي لهفة للجديد وتقدير أعمى للقديم))⁽³⁾ .

ثانيا :الهدف من الشك عند فرنسيس بيكون :

أن " فرنسيس بيكون " أراد بهذا المنهج الشكي أن ينقل المجتمع الأوربي من ميدان الجدل والدراسة التقليدية - أي الفلسفة النظرية - إلي ما هو أرق في نظره ، أي إلي مجال العمل والاختراعات ، عوضا عن حفظ الكتب وفن الجدل والفسطة التي لا فائدة منها، حتى أن الناس أصبحوا يشكون في وجود الحقيقة، لأن عقولهم تسمرت مكانها، ولم تعد قادرة علي الإبداع والاكتشاف. والسبب في ذلك يقول "فرنسيس بيكون" ((الناس عرضة لاحتقار الحقيقة ، بسبب المناقشات التي أثرت حولها واعتبار أولئك الذين لا يتفقون معهم في خطأ العلوم ... تقف جامدة بغير إضفاء زيادة عليها جديرة بالجنس البشري ... فكيف ومن أين يأتي الجديد _ حسب فرنسيس بيكون_ نظام المدارس كله لا يزال نظاما لتخريج علماء وأساتذة ، لا مخترعين))⁽⁴⁾. ولهذا السبب ركز " فرنسيس بيكون " نقده علي فلسفة أرسطو ، لهدمها وإثبات أنها لا تقدم أي معرفة جديدة للإنسان، أو أنها معرفة تقليدية لا تصلح لهذا العصر الذي يتطلب منا المزيد من العمل ، وليس مجرد النظر والتأمل الجامد ، ولهذا أراد فرنسيس بيكون أن يكون نقده لفلسفة أرسطو عميقة ، بحيث تنفذ إلى العقل ذاته ، وهدفه من ذلك تحرير العقل من جميع الأمراض والأوهام ، التي أصابته بسبب الفلسفة المدرسية ومناهجها ، وفلسفة " أرسطو" ومنطقة الصوري ، والتي بسببها أيضا تخلفت جميع المعارف العلمية - وذلك لأننا أعطيناها _ حسب فرنسيس بيكون _ أكثر من حقها، وجعلناها تستحوذ علي عقولنا بإرادتنا، حتى أفسدت عقولنا، وجعلتها تخزن وتحفظ معلومات خاطئة، فعلينا إذا أردنا لعقولنا النجاة من الشك أن نفرغها من كل محتواها الفاسد، ويريد فرنسيس بيكون أن يشكك الناس معه في هذه الفلسفات القديمة التي شك فيها، لأنه علي معرفة بمكانة الإنسان من الطبيعة، وبأن يوضح للناس أن التفكير الفلسفي لا يجب أن يتجه إلي ما فوق الطبيعة، كما لا يجب أن يتخذ من منهج الجدل والنقاش أداة له، ولكن عليه أن يتجه نحو الطبيعة

(1) المرجع نفسه: ص35.

(2), pp. 82–105]

(3) - يحي هويدى ، قصة الفلسفة الغربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1993 م ، ص 49 - ص 50.

(4) - ول ديورنت ، قصة الفلسفة ، ترجمة : فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 6 . 1988 م ، ص 151 ، ص 153.

وظواهرها، وأن تكون التجربة وطرقها وأدواتها، هي السبيل أو الوسيلة أو الأداة لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي تنفع الإنسان (1).

وينتقد فرنسيس بيكون المعارف الأرسطية بقوله ((هذه التصورات والتخيلات التي لا طائل تحثها، هذه الآراء والأفكار والقيم الضعيفة، التي ستشكل سببا للأخطاء التي ستتحول إلي عواطف من الاضطرابات والهياج، هل هناك سعادة كسعادة انتشارال عقل الإنسان من فوضى الأشياء واضطراباتاها ، حيث توفر له أمر احترام الطبيعة وأخطاء الناس ، إلا نطفن أيضا إلي ثروة الطبيعة كما نطفن لجمالها ، هل الحقيقة عقيمة مجدبة ، أليس في وسعنا أنتاج أمتعة ذات قيمة ، وإعطاء حياة الإنسان سلعا لا نهاية لها)) (2)، وهنا نجد فرنسيس بيكون بفتح باب الحقيقة كما يراها ، ويدلنا علي الطريق التي تخلصنا من الشك والضياح والجري وراء ما لا فائدة منه . ولكن هذا الأمر يتطلب منا -حسب فرنسيس بيكون- شرطاً لا بد أن ننفذه قبل أن نبدأ في استخدام الحكمة ، وقبل أن نقوم بأي خطوة من خطوات المنطق الجديد ، أي المنهج العلمي التجريبي ، هذا الشرط الذي يشترطه فرنسيس بيكون، هو أن نعلم ((أن الغاية من الفلسفة هي المعرفة ، والغاية من المعرفة هي السيادة علي الطبيعة)) (3)، ثم نجده يمتدح العقل، ويرفض العواطف ويستنكر لذات الحواس ، ويضحى بهما من أجل الحقيقة التي تخلص العقل من أوهامه فيقول ((سأقدم مديحي للعقل نفسه، العقل هو الإنسان ، والمعرفة هي العقل ، وليس الإنسان إلا ما يعرف . أليست لذائد العواطف والحب أقوى من لذائد الحواس ، أليست لذائد العقل أعظم من لذائد الحب ، أليس حقا أننا لا نشبع من لذة البحث عن الحقيقة ؟ وأن المعرفة وحدها هي التي تنقي العقل من جميع أنواع التهيج والاضطراب . كم من الأشياء موجودة ولا نتصور وجودها . كم من الأشياء تنال تقديرنا أكثر من قيمتها وقدرها)) (4)، ولكن أليست أفكار فرنسيس بيكون كلها نظرية تأملية ؟ .

أن هذا الشك البيكوني هو مانجده بوضوح عند الإمام الغزالي الذي شك في علوم عصره ، لأنه يعتبرها مجرد تحفيظ للعقيدة ، باستخدام حجج ضعيفة ، كما رفض الأفكار الفلسفية القديمة وخاصة أفكار أرسطو، إلا ما يتعلق منها بالرياضيات والفلك المبني علي الرياضيات والحساب، كما اعترف بفائدة الطبيعيات لأنها لا تخالف الدين، أما ما كان يروج له الفارابي وابن سينا، من باقي فلسفة أرسطو، فقد كرس الغزالي نفسه لمحاربتها وقد كان كتابه " معارج القدس " خير دليل علي رفضه لها وشكها فيها، لأنها تبعد العقل عن الصواب وتوقعه في الخطأ، وتحجب الحقيقة عنه ، كما أن العقل ذاته يجب أن ينقي من كل ما يعكره . ويقول الغزالي ((إن المطيع القاهر لشهواته المجرى الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له أو لكونه محجوبا عنه ، باعتقاد سبق له من الصبا علي سبيل التقليد والقبول بحس الظن إن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن يكتشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضاً حجاب عظيم حجب به أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المفكرين في ملكوت السماوات والأرض (الطبيعة) لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جسدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين الحقائق)) (5). وفي هذا النص نجد أن الغزالي يؤكد أن هناك نوعان من الشك، الأول في الفلسفات السابقة والمعتقدات المتداولة في عصره ، وكذلك الشك في المفكرين السابقين والمعاصرين له، ويمكن أن نعتبر بأن شك فرنسيس بيكون هو نفسه شك الغزالي، في ما يسميها أوهام القبيلة وأوهام المسرح ، وكذلك يوضح شكه في ما يسميها فرنسيس بيكون أوهام الجنس البشري، كما أن شك الغزالي في المعتقدات السائدة شك أيضاً في العقل وقدرته علي معرفة الحقيقة بمفرده، خاصة أنه مثقل بالأفكار والنظريات التي تمنعه من أدراك الحقيقة وهذا تماماً

(1) - حبيب الشاروني ، فلسفة فرنسيس بيكون ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، د.ن، ص 27 .

(2) - ول ديورنت ، قصة الفلسفة ، ص 142.

(3) - المرجع نفسه: ص 143.

(4) - حبيب الشاروني ، فلسفة فرنسيس بيكون ، ص 28 .

(5) - أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة، د.ت ، ص 102

ما قاله فرنسيس بيكون، وقد زاد الغزالي أيضا بأن الحواس تخذعنا، وبأنها قاصرة عن إدراك الحقيقة، وإيصالنا إلي اليقين المنشود الذي نسعي إليه.⁽¹⁾

كما أشار " إخوان الصفا " في رسائلهم إلى هذا النوع الشك ، الذي لا بد أن يكون فرنسيس بيكون قد أطلع عليه ، لأن جميع شكوكه - الأوهام الأربعة - قد تناولوها في رسائلهم كما جاءت في " الأورجانون الجديد " ، دون زيادة أو نقصان . فقد تكلم إخوان الصفا عن الاستخدام الخاطئ للألفاظ ، وكيف أنها أحد الأسباب التي توقع الإنسان في الخطأ إذا لم تكن دقيقة واضحة - وهذا ما يقابل أوهام السوق عند فرنسيس بيكون - وكذلك تكلموا علي الأفكار والمعتقدات الخطأ التي ينشأ عليها الإنسان ، فرسخت في ذهنه فأفسدت عقله وجعلته مقيد بها ومشدودا إليها. وهي أوهام القبيلة عند فرنسيس بيكون . وأما الخطأ الذي يقع فيه الإنسان بحكم طبيعته الناقصة، كالتسرع في الحكم والنسيان، وتغليب العواطف علي العقل، فهي أوهام الجنس التي نادي بها بيكون ورفضها. وأخيراً الأخطاء التي يقع فيها الإنسان نتيجة اعتناقه لبعض الأفكار والمذاهب ، لكون قائلها أو مؤسسها إنسان موثوق به ولا يمكن الشك في آرائه. مع أن تلك الأفكار والمذاهب غير صحيحة ، فتجرنا إلي الخطأ وتبعدنا عن الحقيقة . وهذه الأخطاء ما تقابل أوهام المسرح عند فرنسيس بيكون⁽²⁾ .

ومن جانب آخر كان الشك المنهجي عند علماء المسلمين، رقيقهم في أبحاثهم العملية والنظرية، ولم تختلف كثيراً عن الفلاسفة العرب المسلمين وخاصة أن معظم هؤلاء الفلاسفة علماء تجريبيين عرفوا المنهج العلمي ومارسوه، فابن الهيثم علي سبيل المثال ينبهنا من الوقوع في الخطأ أثناء عملية البحث والاستقراء، وينصحنا بان نشك ونراجع كل خطوة نقوم بها ، ونترقى في البحث والمقاييس علي التدرج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج ، كما يحذرنا من الانسياق وراء الشهوات وإتباع الهوى ، الأمر الذي يجعلنا نبتعد عن الحق ولا نظفر بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنحسم بها مواد الشبهات ويتبدد بها الشك الذي قد تأخذنا إليه طبيعتنا البشرية ، وما نحن مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية براء وهذا اعتراف بنقص الإنسان بطبيعته مهما حاول أن يتغلب علي تلك الطبيعة البشرية، ولكن مع هذا كله فان ابن الهيثم عند تعريفه للحكمة في كتابه "ثمره الحكمة" يقول ((الحكمة علم كل حق وعلم كل نافع، وعمل النافع عسيرا جدا إلا لمن لطف حسه واعتدلت قوة النفس الناطقة - أي العقل - بحركتها فيه))⁽³⁾، وهذا القول يذكرنا بقول فرنسيس بيكون، بأن منهجه سهل الشرح صعب التطبيق، وهذا أيضاً ما قاله الكندي أول فلاسفة العرب في رسالة بعث بها إلي المعتصم بالله قائلا ((علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان لأنه غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق وفي عمله العمل بالحق))⁽⁴⁾.

أليس هذا ما نادي به فرنسيس بيكون بعد أربع قرون ، هو بالضبط ما قال به العرب المسلمون الذين لم يقتنعوا بأن الفلسفة مجرد تأمل نظري ، بل هي نظرا وعمل من أجل نفع الإنسان وسعادته . فقد وصل إلي العرب ميراث إنساني كبير ، ترجموه إلي لغتهم العربية ، ولكنهم لم يقبلوه علي علته، ولم يسلموا بأراء السابقين تسليما تاما بل أخضعوها للفحص والنقد ، فما تعارض مع الملاحظة والتجربة أنكروه ، وما اتفق معهما قبلوه . وهذا ما جاء في مؤلفات الكثير من العلماء العرب كنفقدهم لأراء إبقراط وجالينوس، وما كتاب ابن الهيثم في شكه علي بطليموس إلا مثال صريح علي ذلك النوع من الشك المنهجي والتقديم العلمي.⁽⁵⁾ بل وإن شكه المنهجي قد سبقه له المفكرين والعلماء العرب المسلمين . بداية من الكندي والغزالي والرازي وابن سينا وحتى ابن الهيثم .

(1) سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1980م، ص285.

(2) نهلة محمد مصطفى عوكل ، مناهج البحث عند إخوان الصفاء وأثرها في فكر الغزالي وفرنسيس بيكون ، ص 39 - 41 .

(3) محمد عبد الهادي أبو ريـدة: ثـمـرة الحـكمـة، مقـال إـلـكترونـي

http://badbooy2008.blogspot.com/2008/03/blog-post_12.html

(4) - الكندي: كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1948،

ص 77.

(5) - بشار قاسم و علي فرح: الحسن ابن الهيثم وأثره على المسيرة العلمية الحديثة، مكتبة المنار، الأردن، 1985، ص77.

ثالثا :طريقة بيكون للتخلص من الشك :

يرى فرنسيس بيكون ان الطريقة الوحيدة للتخلص من الشك هي بتطبيق المنهج التجريبي الاستقرائي على كل المعارف الإنسانية في حرصه على وصف الأشجار والثمار والخطوات الإجرائية للزراعة وغير ذلك من الدقة في الملاحظة التي تعد أولى خطوات المعرفة التجريبية الحسية أضف إلى ذلك حديثه عن تصنيف العلوم وأهمية وضع موسوعة متكاملة تحوي جميع معارف عصر النهضة الأوروبية الحديثة ودعوته لانتشار المكتبات لغرس الثقافة العلمية في الثقافة الغربية بوجه عام وكذا قراءة المؤلفات القانونية والدينية في لغتها الأصلية وذلك لاكتساب الخبرة الأدوات لدلالات الألفاظ الحقيقية فالتجربة عند بيكون تستوجب ملاحظة البنائيات اللغوية والمفاهيم للوصول إلى المعنى، أضف إلى ذلك رغبته في تأسيس المعارف الدينية على قاعدة من الملاحظة والتجربة للحقائق العلمية. (1)

ويرى الكثير من الفلاسفة والعلماء أن الدور الذي لعبه بيكون في النهضة هو تجديد العقلية الأوروبية من حيث طبيعة المعرفة والمنهج، وذلك على الدرب الذي سبقه إليه روجر بيكون كما أنه حاول الجمع بين الموروث الديني والاكتشافات العلمية في سياق موسوعي عالمي ويبدو ذلك في قصته أطلانطا الجديدة* فالمنهج الاستقرائي عنده لا يقف عند دراسة المعارف الطبيعية بل نجده يعطي أهمية كبرى لتطبيقه في الدراسات اللغوية والتاريخية والأدبية والدينية. (2)

وتبدو عظمة بيكون في جعله مدينته الفاضلة (أطلانطا الجديدة) يوتوبيا أرضية فعلى الرغم من تأثيره بأفلاطون وأرسطو إلا إنه فاقهم جميعا في جعله العلم هو المدخل الرئيس للتقدم والتمدن وتحديث العقل الأوروبي فالموسيقى لم تعد مجرد محاكاة للموجودات الطبيعية بل هي تقنيات علمية في صناعة الآلات للتحكم في درجة الصوت وحدته ورخامته وإذا كان بيكون لم يمارس هذه التطبيقات بنفسه إلا أنه قد أرشد إليها أي أكد على ضرورة تطبيق المنهج التجريبي على كل الصنائع ومنها الآلات الموسيقية بطبيعة الحال (3)

وذهب ر. و سرجيانتسون في تحليلاته ليوتوبيا فرنسيس بيكون أطلانطا الجديدة إلى أن كاتبها يعد من أنبياء العلم الذين فتحوا أمام البشرية أبواب جنة المدنية والحداثة والتقدم وكذا في موسوعته (تقدم التعلم The Advancement of Learning) التي ظهرت عام 1605 تلك التي مارس فيها قمة الشك المنهجي و حمل فيها على الجهل والتصورات الخرافية الموروثة عن طبيعة العالم وما فيه من موجودات ولم يقف منهج بيكون الاستقرائي عند الدعوة إلى تطبيقه في ميدان الطبيعيات والاستشهاد

(1)- Christopher D. JOHNSON: MAKING THE "ROUND OF KNOWLEDGE" IN BACON'S WAKE: NAUD,COMENIUS, AND BROWNE Harvard University, Cambridge, London Vol. 5, No. 2(10)/November 2011p 5-15.

* يعد كتاب أطلانطا الجديدة لفرنسيس بيكون من بواكير المصنفات البيوتوبية والدراسات المستقبلية والذي يعيننا في هذا السياق أن كتاب أطلانطا الجديدة الذي كتبه بيكون عام 1624 يعد من أوائل النصوص الفلسفية في عصر النهضة التي تجعل التفكير العلمي الأساس للمستقبل من حيث تطور المجتمع والثقافة والمعرفة وذلك دون أن تتخلى تماما عن باقي المعارف الإنسانية الدينية واللغوية والتاريخية غير أنه اشترط في دراستها على تناولها من زاوية استقرائية واقعية وبنزع شراح أطلانطا الجديدة إلى أن بيكون قدم فيها أول وصف لمعهد علمي كامل يقوم على أساس العلم التجريبي ويضيف هارالد هوفنجر أن بيكون بهذا المنحى قد عبر عن إدراكه للثورة العلمية التي هبت في أوروبا على سلطة النصوص اللاهوتية التقليدية وأفسح الطريق في الوقت نفسه للمنهج التجريبي ليتغلغل في الدراسات الإنسانية بوجه عام.

ولا غرو في أن بيكون بذلك دعى لتطبيق المنهج التجريبي الاستقرائي في الأدب والاجتماع والسياسة أيضا فالعالم في مدينته حرا طليقا لا يحتكم إلا إلى التجربة ولا سلطان يقيد سوى العلم.

وتنتهي ماريا لويزا إلى أن بيكون هو أول من وجه الأنظار إلى أن التقدم والسيادة والقوة في العلم وأن الحقيقة لا يمكن إدراكها إلا عن طريق الاستقراء بما في ذلك الإيمان بوجود الإله الخالق ذلك الذي يمكن التيقن من وجوده وقدرته المبدعة عن طريق استقراء دقيق للكون وما فيه من موجودات أضف إلى ذلك كله توجيه بيكون لأفراد مدينته إلى ضرورة الاستفادة من التجارب العلمية في التطبيقات الصناعية بداية من صناعة الغذاء والمنتجات الزراعية إلى صناعة الأدوية والعطور. أنظر : ماريا لويزا برنيري: المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة: عطيات أبو السعود، مراجعة: عبد الغفار مكاي، سلسلة عالم المعرفة، ع225، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م.

2- Ibid .p3-11..

1- Ibid .p20-27.

بالتجارب العلمية التي أجراها سابقوه أو التي أجراها بنفسه بل انتقل إلى المنطق فوجهه ناحية الواقع وقضاياه وأعلى من شأن القضايا التركيبية القائمة على الاستقراء وليس الاستنباط التحليلي الذي انتهجه أرسطو وشراحه، وعليه فإن نظرنا لبيكون على أنه المؤسس الحقيقي للخطاب العلمي في ميدان المعرفة والسياسة والأخلاق بل والدين أيضا- تؤكد عشرات المؤلفات التي جعلت من كتابه أطلانطا الجديدة المنحى الذي أنقذ أوروبا من ظلمة العصر الوسيط وسلطة الكتابات الكلاسيكية الموروثة وتتبا في الوقت نفسه بعصر الثورة الصناعية وما صاحبت تلك الثورة من قضايا ومشكلات ويرى الكاتب أن التجارب الكيميائية التي تحدث عنها فرانسيس بيكون في بيت سليمان تعد من أهم الكتابات العلمية التي أسهمت في القضاء على السحر الطبيعي الذي كانت تخط كتبه بين الطب والخرافة وتنسب خصائص المواد الطبيعية إلى قوى روحية أو شيطانية كما تعرض بيكون إلى خرافة أكسير الحياة الذي طالما ورد في الكتابات الكلاسيكية لإطالة عمر الإنسان عن طريق تناول بعض الأعشاب أو الأشربة وبين أن الحفاظ على حياة الإنسان تكمن في حمايته من الأمراض وأولى الخطوات إلى ذلك هي الحرص على النظافة بداية من البدن إلى سلامة المأكولات من العطب والفساد ورفض بيكون كذلك ممارسة بعض الطقوس ومص دماء الشباب الأصحاء أو التعبد في كهوف ووصف كل ذلك بأنه ضرباً من ضروب الخرافة واعتنى جد عنايته بما نعرفه الآن بالطب الوقائي وبالنظام الغذائي المفيد للبدن والطب الطبيعي.(1)

ويشير توبي أ هف إلى أن المناهج العلمية منذ أخريات القرن الثاني عشر كانت تدرس في الجامعات الأوروبية بجانب الفنون السبعة الحرة (النحو، البلاغة، المنطق، الحساب، الهندسة، الفلك، والموسيقى)(2) لذا لا نعجب من انصراف جهود بيكون في تطبيقه قواعد المنهج الاستقرائي على اللغة والأدب والفن وتصنيف العلوم والموسيقى واللاهوت .

ونفهم من ذلك إلى أن أول آليات تطبيق المنهج الاستقرائي عند بيكون هو الشك المنهجي الذي اتخذ من النقد الاستقرائي معياراً للوصول إلى الحقيقة وهذا المنحى -كما بينا- هو الطريق الذي سلكه العلماء والفلاسفة العرب وكذلك نفهم ان الحقيقة هي وجهة بيكون بالعلوم التطبيقية وهذا الأمر أيضا كان أصيل في بنية الثقافة العربية الإسلامية حيث ارتباط النظر بالعمل والمنهج بالتطبيق وتشهد بذلك منات المخترعات والآلات والأساليب التربوية التي انتهى إليها المسلمون في كل المجالات بداية من علم الفلك والموسيقى والجبر إلى علوم الخط والزخرفة والكيمياء والبصريات والفضاء

المراجع والمصادر

المراجع العربية

(1) For publication in Francis Bacon's 'New Atlantis', ed. by Bronwen Price Manchester: Manchester University Press, 2002), pp. 82-105]

(2) توبي أ هف: فجر العلم الحديث، ترجمة: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة ع260، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م، ص210.

- 1- أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة، د.ت.
- 2- الكندي: كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1948.
- 3- بشار قاسم و علي فرح: الحسن ابن الهيثم وأثره على المسيرة العلمية الحديثة، مكتبة المنار، الأردن، 1985.
- 4- توبي أ هف: فجر العلم الحديث، ترجمة: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة ع260، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م، ص210 .
- 5- حبيب الشاروني , فلسفة فرنسيس بيكون.دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، دن
- 6- سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1980م.
- 7- فؤاد زكريا: الأورجانون الجديد لفرانسيس بيكون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م
- 8- محمد عبد الهادي أبو ريبة: ثمرة الحكمة، مقال إلكتروني http://badbooy2008.blogspot.com/2008/03/blog-post_12.html
- 9- نهلة محمد مصطفى عوكل , مناهج البحث عند إخوان الصفاء وأثرها في فكر الغزالي وفرنسيس بيكون مؤسسة عماد وعمر للخدمات العلمية المتكاملة ، بني سويف ، ص 41 .
- 10- ول ديورنت , قصة الفلسفة , ترجمة : فتح الله محمد المشعشع , مكتبة المعارف , بيروت , ط 6 . 1988 م .
- 11- يحي هويدى , قصة الفلسفة الغربية , دار الثقافة للنشر والتوزيع , القاهرة 1993 م .

المراجع الاجنبية

- 1- THE ESSAYS OR COUNSELS, CIVIL AND MORAL, OF FRANCIS Ld. VERULAM VISCOUNT ST. ALBANS .
- 2- For publication in Francis Bacon's 'New Atlantis', ed. by Bronwen Price Manchester: Manchester University Press,(2002) .
- 3- Christopher D. JOHNSON: MAKING THE "ROUND OF KNOWLEDGE" IN BACON'S WAKE: NAUD, COMENIUS, AND BROWNE Harvard University, Cambridge, London Vol. 5, No. 2(10)/November 2011.